https://doi.org/10.58352/10.58352/tis.v49i2.959

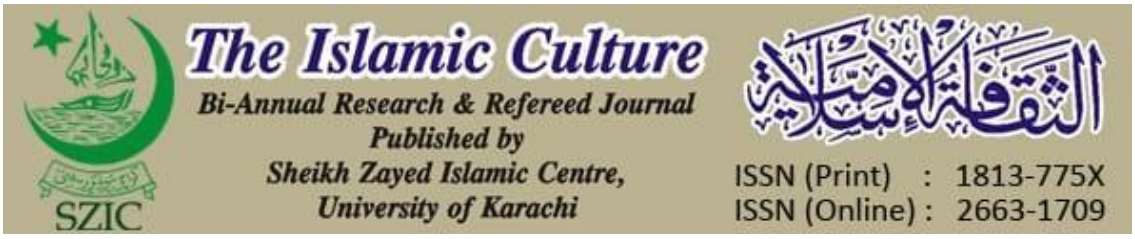

حقيقة رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –في المنام وضوابط صحتها ومدى صلاحيتها للاحتجاج بها

THE REALITY OF SEEING THE PROPHET (PEACE BE UPON HIM) IN A DREAM: THE CRITERIA OF ITS AUTHENTICITY AND LEGAL VALIDITY

AFM Nuruzzaman
Assistant Professor, Department of Da'wah and Islamic Studies,
International Islamic University Chittagong (IIUC), Bangladesh
Email: afmnur@iiuc.ac.bd

Abstract:

This research addresses a precise theological-hadith issue: the reality of seeing Prophet Muhammad (peace be upon him) in a dream, the extent to which such a vision corresponds to his physical description during his earthly life, and its legal standing. The study adopts an inductive method in collecting hadith texts, a critical-analytical method in examining scholarly positions, and a comparative method in weighing divergent views. The research finds that the hadith "Whoever sees me in a dream has truly seen me" is *mutawatir* in meaning and has been narrated by numerous Companions. Scholars differed over whether a genuine vision must conform to the Prophet's authentically transmitted physical description, and over the extent of its authority to derive or abrogate legal rulings. The study concludes that such a vision carries glad tidings but does not independently establish or abrogate a legal ruling; rather, it is measured against the established principles of the Shari'ah.

Keywords: Seeing the Prophet (SAW); Hadith of seeing the Prophet (SAW); Authority of Dream; Ahl as-Sunnah wa al-Jama’ah; Criteria of Seeing the Prophet (SAW).

حقيقة رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –في المنام وضوابط صحتها ومدى صلاحيتها للاحتجاج بها

الملخص

يتناول هذا البحث مسألة عقدية حديثية دقيقة، هي حقيقة رؤية النبي–صلى الله عليه وسلم– في المنام، ومدى مطابقة تلك الرؤية لصورته –صلى الله عليه وسلم– التي كان عليها في حياته الدنيا، وموقعها من الاحتجاج الشرعي . وقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي في جمع النصوص الواردة في هذا الباب من كتب الحديث ومظانه، والمنهج التحليلي النقدي في دراسة أقوال العلماء والموازنة بينها، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف، ثم المنهج المقارن عند عرض الآراء المتعددة في المسألة. وتوصل البحث إلى أن حديث "من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي"حديث متواتر المعنى، رواه جمع من الصحابة، وأن جمهور العلماء على أن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق لا يتطرق إليها بطلان من جهة كونها رؤيا، لكنهم اختلفوا في اشتراط مطابقتها لصورته المعروفة في حلية شمائله الشريفة، وفي مدى حجيتها في استنباط الأحكام الشرعية أو نسخها، وتوصل البحث إلى ترجيح قول الجمهور القائل بأن الرؤية الحقة هي التي توافق صفته صلى الله عليه وسلم الثابتة بالنقل الصحيح، وأن ما خالف ذلك يحتاج إلى تعبير وتأويل، وأن هذه الرؤيا مبشرة معتبرة في بابها، لكنها لا تنشئ حكما شرعيا مستقلا ولا تنسخ ثابتا من الشريعة، وإنما تُعرض على أصولها، فما وافقها قبل، وما خالفها ردّ.

الكلمات المفتاحية: رؤية النبي ﷺ، الرؤيا، حديث "من رآني"، حجية الرؤيا، أهل السنة والجماعة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن من عظيم فضل الله على هذه الأمة أن جعل رؤية نبيها –صلى الله عليه وسلم– في المنام بابا من أبواب البشرى الباقية بعد انقطاع الوحي، وقد تواترت الأخبار عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في تأكيد صدق هذه الرؤية وامتناع تصور الشيطان بصورته، وهو أمر خُص به دون سائر البشر. غير أن هذه المسألة على وضوح أصلها في النصوص، قد تشعبت فيها أنظار العلماء قديما وحديثا من جهة تحديد حقيقة هذه الرؤية، وضوابط صحتها، ومدى ارتباطها بمطابقة صورة النبي –صلى الله عليه وسلم– الثابتة، وموقعها من الاستدلال الشرعي. ويسعى هذا البحث إلى تجلية هذه المسألة من خلال جمع النصوص الشرعية الواردة فيها، وعرض أقوال العلماء المعتبرين قديما وحديثا، وتحليلها ومناقشتها، للوصول إلى تصور علمي منضبط لحقيقة رؤية النبي –صلى الله عليه وسلم– في المنام.

إشكالية البحث

إن كثيرا من عامة الناس، بل وبعض طلبة العلم، يخلطون بين مجرد الرؤيا المنسوبة إلى النبي– صلى الله عليه وسلم –وبين الرؤية الحقة الموصوفة في الحديث الشريف، فيبنون على الرؤي أحكاما شرعية أو اعتقادات لا سند لها. كما أن أقوال العلماء في هذه المسألة متفرقة في كتب شروح الحديث والفتاوى المتناثرة، ولم تجمع بعد في دراسة تحليلية مقارنة تُبرز أوجه الاتفاق والاختلاف بينها. ومن هنا تبرز الحاجة إلى الإجابة عن السؤال الآتي: ما حقيقة رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –في المنام في ضوء النصوص الشرعية وأقوال العلماء، وما الضوابط التي تميز الرؤية الصحيحة من غيرها؟

أسئلة البحث

- ما الأدلة الشرعية الدالة على إمكان رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –في المنام وصحتها؟
- هل يشترط في الرؤية الصحيحة مطابقتها لصورته– صلى الله عليه وسلم –الثابتة في كتب الشمائل؟
- هل رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –في المنام خاصة بالصحابة أم عامة لكل مسلم إلى قيام الساعة؟
- ما مدى حجية هذه الرؤيا في استنباط الأحكام الشرعية أو تصحيح الأعمال؟
- ما الضوابط الشرعية للتعامل مع من يدّعي رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم–؟

أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث فيما يلي:

- تعلق البحث بجانب من جوانب العقيدة له صلة مباشرة بمكانة النبي– صلى الله عليه وسلم –وحفظ سنته.
- انتشار دعاوى رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –في وسائل التواصل الحديثة دون ضابط شرعي.
- إسهام البحث في تزويد الباحثين والدعاة بمرجع علمي موثق.

أهداف البحث

- استقصاء الأدلة الشرعية الواردة في إثبات رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –وتخريجها.
- عرض أقوال العلماء في حقيقة هذه الرؤية ومناقشتها مناقشة علمية موازنة.
- بيان الضوابط الشرعية التي تميز الرؤية الصحيحة عن غيرها.
- تحديد موقع هذه الرؤيا من الاحتجاج الشرعي والاستنباط الفقهي.

الدراسات السابقة

لم يقف الباحث على دراسة أكاديمية محكّمة مستقلة جامعة تناولت هذا الموضوع بعنوانه الكامل، وإنما وُجد تناول هذه المسألة مبثوثا في ثلاثة أصناف من المصادر:

الصنف الأول: شروح الحديث النبوي، وأبرزها شرح ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) لحديث (من رآني في المنام) في فتح الباري، إذ نقل فيه خلاف العلماء في اشتراط مطابقة الرؤية لصورة النبي– صلى الله عليه وسلم–، وناقش أقوال ابن بطال (ت 449هـ) والمهلب (ت82هـ) وغيرهما [1]، وشرح النووي (ت676هـ) على صحيح مسلم الذي أكد فيه امتناع تمثل الشيطان بصورة النبي– صلى الله عليه وسلم –اتفاقا بين العلماء [2].

الصنف الثاني: الرسائل المستقلة، وأبرزها رسالة السيوطي (ت911هـ) الموسومة بـ"تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك" وهي أوسع ما أُلّف قديما في هذه المسألة بعينها، إذ استقصى فيها أدلة إمكان رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –يقظة ومناما [3].

الصنف الثالث: الفتاوى المعاصرة، وأبرزها فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز(ت1420هـ) التي أكد فيها صحة الحديث وحذر من كذب من يدّعي الرؤية دون تحقق الوصف [4]، وبحث الشيخ الدكتور مصطفى الزرقا (ت1420هـ) في تحقيق سند حديث الرؤيا وبيان عدم حجيته في استنباط الأحكام [5].

وبموازنة هذه الدراسات يتبين أنها، على قيمتها العلمية، لم تُفرد المسألة بتحليل مقارن مستقل وفق منهجية البحث العلمي الحديث، وهذا ما يبرر الحاجة إلى الدراسة الحالية.

الفجوة البحثية

تتحدد الفجوة البحثية في غياب دراسة أكاديمية معاصرة تجمع بين استقصاء الأدلة النصية بمنهج تخريجي دقيق، وبين التحليل المقارن لأقوال العلماء في مسألة مطابقة الرؤية وحجيتها الشرعية، مع وضع ضوابط عملية منضبطة يمكن الرجوع إليها عند تقييم دعاوى الرؤية في العصر الحاضر.

منهجية البحث

المنهج الاستقرائي: لجمع النصوص الحديثية والأقوال الفقهية من مظانها الأصلية.

المنهج التخريجي: لبيان درجة الأحاديث الواردة في الباب وتوثيق مصادرها.

المنهج التحليلي النقدي: لتحليل أقوال العلماء ومناقشة أدلتهم.

المنهج المقارن: للموازنة بين الأقوال المختلفة والترجيح بينها بالدليل.

المبحث الأول: مفهوم الرؤيا، ومنزلة الرؤيا الصالحة في الشريعة

أولا: الرؤيا في اللغة والاصطلاح

الرؤيا في اللغة مصدر من رأى، مختصة بما يُرى في النوم، بخلاف الرؤية التي تكون في اليقظة[٦]، واصطلاحا: ما يقذفه الله تعالى في قلب النائم من صور ومعانٍ، تكون تارة من الله تعالى تبشيرا أو إنذارا، وتارة حديث نفس، وتارة من تلبيس الشيطان[٧]، وقد قسّم النبي –صلى الله عليه وسلم– الرؤيا إلى هذه الأقسام الثلاثة، فقال: (الرؤيا ثلاث: رؤيا من الله، وحديث النفس، وتحزين من الشيطان)[٨].

ثانيا: منزلة الرؤيا الصالحة في الشريعة

جاء في الحديث المتفق عليه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي– صلى الله عليه وسلم –قال: (الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة)[٩]، وهذا يدل على شرف الرؤيا الصالحة، غير أن جمهور العلماء متفقون على أنها لا تنشئ حكما شرعيا مستقلا، لانقطاع الوحي التشريعي بوفاة النبي– صلى الله عليه وسلم–، وإنما هي مبشرات تُعرض على أصول الشريعة الثابتة[١٠].

المبحث الثاني: الأدلة الشرعية على إمكان رؤية النبي –صلى الله عليه وسلم– في المنام

أولا: حديث «من رآني في المنام فقد رآني»

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي– صلى الله عليه وسلم –قال: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي)[١١]. وفي رواية عن أنس بن مالك عند البخاري: (من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي)[١٢]،

وأخرجه مسلم بنحوه[١٣]. وقد رُوي هذا الحديث بألفاظ متقاربة عن جمع من الصحابة يزيدون على العشرين، مما جعل جماعة من المحدثين يصفونه بأنه من قبيل المتواتر معنى[١٤].

ثانيا: توجيه امتناع تمثل الشيطان بصورة النبي –صلى الله عليه وسلم–

ذكر ابن بطال، فيما نقله عنه ابن حجر، أن هذا الحديث إخبار عن أمر غيبي، وهو أن الله تعالى منع الشيطان من أن يتصور بصورته– صلى الله عليه وسلم–[١٥]. وأن من رآه في تلك الصورة المعروفة فرؤياه صادقة موافقة لما سيراه في اليقظة يوم القيامة أو عند تصديق تأويلها، وهذا التوجيه هو الذي عليه جمهور شراح الحديث.

ثالثا: هل هذا الاختصاص عام لكل الأمة أم خاص بمن رآه في حياته؟

ذهب جمهور العلماء إلى عموم هذا الفضل لكل من رأى النبي– صلى الله عليه وسلم –في منامه إلى قيام الساعة، لعموم لفظ الحديث (من رآني)[١٦]. في حين ذهب بعض العلماء إلى أن هذا الاختصاص محصور بالصحابة الذين عاينوا صورته الحقيقية في الدنيا[١٧]. وهذا القول الثاني، وإن كان له وجه من النظر، إلا أن ظاهر عموم الحديث وعمل عامة العلماء على خلافه.

رابعا: قول ابن سيرين الذي نقله الإمام البخاري في تفسير معنى الحديث

من أدق ما يوضح معنى هذا الحديث ما نقله الإمام البخاري نفسه تعليقا عن محمد بن سيرين، إمام المعبّرين، إذ قال البخاري عقب سياقه للحديث: (قال ابن سيرين :إذا رآه في صورته)[١٨]. وقد وصله ابن حجر بسند صحيح عن أيوب السختياني قال: (كان محمد– يعني ابن سيرين –إذا قصّ عليه رجل أنه رأى النبي– صلى الله عليه وسلم –قال: صف لي الذي رأيتَه، فإن وصف له صفة لا يعرفها قال: لم تره)[١٩].

ووافقه على هذا المعنى الحكيم الترمذي، إذ فسّر قوله– صلى الله عليه وسلم –(من رآني في المنام «بأنه» على نعتي الذي أنا عليه)[٢٠]. وقد نقل ابن حجر أيضا ما يؤيد هذا المعنى من فعل الصحابة، فأخرج الحاكم بسند جيد عن كليب بن شهاب أنه قال لابن عباس: رأيت النبي– صلى الله عليه وسلم –في المنام، فقال ابن عباس: صفه لي، فذكر الرائي الحسن بن علي وشبّه النبي– صلى الله عليه وسلم –به، فقال ابن عباس: قد رأيتَه[٢١].

وممن أكد هذا الأصل القرافيؤ في الفروق، إذ قال: (إنما تصح رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –لأحد رجلين :أحدهما صحابي رآه فعلم صفته فانطبع في نفسه مثاله)[٢٢]، وكذلك ابن عرفة(ت 803هـ) إذ قال: (إنما معناه من رآني على الصفة التي أنا عليها)[٢٣]. فهذه النقول تمثل اتجاها علميا معتبرا يجعل من مطابقة الوصف معيارا عمليا للتحقق من دعوى الرؤية، غير أن هذا الاتجاه، كما سيأتي في المبحث الثالث، لم يكن محل اتفاق بين جميع الأئمة.

المبحث الثالث: أقوال العلماء في حقيقة رؤية النبي –صلى الله عليه وسلم– ومطابقتها لصورته

خلافا لما قد يُظن من وجود اتفاق بين العلماء على اشتراط مطابقة الرؤية لصورة النبي– صلى الله عليه وسلم –الثابتة، فإن هذه المسألة محل خلاف معتبر بين كبار الشراح، دار حول تفسير قوله– صلى الله عليه وسلم –(فقد رآني).

القول الأول: اشتراط مطابقة الرؤية لصورته الثابتة [القاضي عياض (ت 544هـ)]

نقل النووي عن القاضي عياض قوله :إنه يحتمل أن يكون المراد أن من رآه على صورته المعروفة له في حياته كانت رؤياه حقا، ومن رآه على غير صورته كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة[٢٤]. وهذا القول ينسجم مع منهج ابن سيرين العملي المذكور في المبحث الثاني، وتابعه على معناه القرافي وابن عرفة.

القول الثاني: عدم اشتراط المطابقة، وأن الرؤية حقيقية على كل حال [الإمام المازري (ت 536هـ)، وصوّبه النووي (ت 676هـ)]

تعقّب النووي قول القاضي عياض بالتضعيف الصريح، فقال: (هذا الذي قاله القاضي ضعيف، بل الصحيح أنه يراه حقيقة، سواء كانت على صفته المعروفة أو غيرها)[٢٥]، تبعا لما قرره المازري من أن رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –رؤية معنوية لا تخضع لقيود الزمان والمكان الجسدي[٢٦]. وقد ذهب جماعة من متأخري الشراح إلى ترجيح هذا القول[٢٧].

القول الثالث: التفصيل والتوفيق بين القولين [القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي (ت 543هـ)]

سلك القاضي أبو بكر بن العربي المالكي مسلكا توفيقيا بين القولين السابقين، فقرر أن رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –بصفته المعلومة الثابتة هي (إدراك حقيقة)، وأن رؤيته على غير صفته هي (إدراك مثال)، أي: أن الرائي في الحالة الثانية لم يخطئ في أصل الرؤية، لكنه أدرك مثالا يرمز إلى ذاته الكريمة لا عين صورته [٢٨]. وهذا القول جمعٌ حسنٌ بين اعتبار الحديث على عمومه، وبين مراعاة ضابط المطابقة الذي بنى عليه ابن سيرين ومن تبعه منهجهم العملي في التحقق من دعاوى الرؤية.

موقف الحافظ ابن حجر العسقلاني

استعرض ابن حجر في فتح الباري هذه الأقوال الثلاثة وغيرها، حتى أوصلها بعض من تعقّبه إلى ستة أو سبعة أوجه في تفسير الحديث، دون أن يُصرّح بترجيح قاطع لأحدها على سبيل الجزم، وإن كان ظاهر صنيعه يميل إلى استحسان الجمع الذي ذكره ابن العربي [٢٩].

رأي ابن تيمية وابن القيم في حجية هذه الرؤيا

قرر ابن تيمية أن رؤيا الأنبياء والصالحين قد تكون صحيحة في أصلها ومع ذلك تحتاج إلى تعبير، وأن العبرة بموافقة الرؤيا للكتاب والسنة لا بمجرد وقوعها[٣٠]. وتابعه ابن القيم في تفصيل أقسام الرؤى[٣١].

وخلاصة هذا المبحث، أن الخلاف في اشتراط مطابقة الصورة خلاف علمي معتبر بين أئمة كبار، لا يصح فيه دعوى الإجماع لأي طرف، وأن الراجح– كما سيتضح في مناقشة البحث –هو الجمع بين القولين بمسلك ابن العربي، مع اعتماد معيار المطابقة عمليا عند التحقق من دعاوى الرؤية درءا لتلبيس الشيطان أو كذب المدّعين، وإن كان ذلك لا ينفي إمكان صحة رؤية تخالف الصورة المعروفة عند من صحّ قصده وسلم قلبه، كما قرره المازري والنووي.

المبحث الرابع: حجية رؤيا النبي –صلى الله عليه وسلم– في الاستدلال الشرعي

اتفق جمهور الأصوليين والمحدثين على أن رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم– في المنام، وإن كانت صادقة، لا تصلح مصدرا مستقلا لإثبات حكم شرعي جديد أو نسخ حكم ثابت، لأن الوحي التشريعي قد انقطع بوفاته– صلى الله عليه وسلم–[٣٢]. وإنما هي على الأكثر مبشرات أو منبهات يُستأنس بها إذا وافقت أصلا شرعيا معتبرا. وقد أكد الشيخ مصطفى الزرقا هذا المعنى، فمن رأى النبي– صلى الله عليه وسلم –يأمره بأمر فعليه أن يعرض ذلك على أصول الشريعة، فما وافقها جاز له فعله وما لم يوافقها فلا[٣٣]. وهذا هو الضابط الحاسم الذي يمنع توظيف دعاوى الرؤيا في إحداث بدع أو أحكام لا سند لها من الكتاب والسنة.

المبحث الخامس: ضوابط التعامل مع دعاوى رؤية النبي –صلى الله عليه وسلم–

- عرض صفة المرئي على ما ثبت في أحاديث الشمائل والحلية الشريفة الصحيحة.
- عدم بناء حكم شرعي أو عقدي مستقل على مضمون الرؤيا دون عرضها على الكتاب والسنة.
- التحقق من عدالة الرائي وصدقه، والحذر من دعاوى الكذب أو التلبيس المقصود.
- التفريق بين البشرى العامة التي تحملها الرؤيا الصادقة وبين اعتقاد كونها وحيا أو تشريعا.
- إحالة كل ما يخالف أصلا شرعيا ثابتا إلى التأويل أو الرد، لا القبول المطلق.

المبحث السادس: كيفية التأكد من صحة رؤية النبي –صلى الله عليه وسلم–

بعد استعراض الأدلة وأقوال العلماء، توصّل الباحث إلى أن التأكد من صحة رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم – في المنام لا يكون بمجرد الجزم القلبي للرائي، بل بجملة من الضوابط المركّبة، يمكن ترتيبها في الخطوات الآتية:

أولا: مطابقة الصورة المرئية لصفته –صلى الله عليه وسلم– الثابتة

وهو الضابط العملي الأول والأهم، ويكون بعرض صورة النبي– صلى الله عليه وسلم –كما رآها الرائي على ما ثبت في أحاديث الشمائل، فإن وافقت هذه الصفة الثابتة فهي أمارة قوية على صدق الرؤية، وإن خالفتها– على قول القاضي عياض وابن العربي – دل ذلك على أن الرائي رأى مثالا رمزيا يحتاج إلى تعبير، وإن كان النووي والمازري يريان إمكان صحتها مع ذلك[٣٤].

ثانيا: عرض مضمون الرؤيا على الكتاب والسنة

فما تضمنته الرؤيا من أمر أو نهي أو خبر يُقاس بأصول الشريعة الثابتة، فإن وافقها كان ذلك مؤيدا لصدقها، وإن خالفت صريح الكتاب والسنة فذلك دليل على أنها ليست رؤية صحيحة له– صلى الله عليه وسلم–، إذ إنه لا يقول إلا الحق[٣٥].

ثالثا: وضوح الرؤيا وثبات صورتها وعدم اضطرابها

فالرؤيا الصادقة تتصف غالبا بالوضوح والثبات في ذهن الرائي بعد استيقاظه، بخلاف أضغاث الأحلام وحديث النفس التي تتسم بالتشوش والاضطراب وسرعة التلاشي من الذاكرة، وقد أشار ابن القيم إلى أن صفاء القلب وقوة اليقظة الروحية للرائي من أسباب صدق الرؤيا ووضوحها [٣٦].

رابعا: صلاح الرائي واستقامته وبعده عن أسباب أضغاث الأحلام

فالرؤيا الصالحة أقرب ما تكون إلى القلوب الصافية والنفوس المستقيمة الملتزمة بالشرع، كما دلت عليه النصوص العامة في فضل الرؤيا الصالحة، بخلاف من يرى في منامه ما تمليه عليه شهوته أو غفلته أو كثرة تفكيره في أمر معين، فإن رؤياه أقرب إلى حديث النفس منها إلى الرؤيا الصادقة [٣٧].

خامسا: عدم بناء حكم شرعي أو عقدي مستقل عليها

وهذا ضابط احترازي لازم حتى مع تحقق العلامات السابقة، فلا يجوز اتخاذ الرؤيا وحدها أساسا لإحداث عبادة أو حكم فقهي جديد لم يدل عليه دليل من الكتاب أو السنة، بل غاية ما تفيده تثبيت القلب وتقوية اليقين فيما هو ثابت أصلا بالنص [٣٨].

سادسا: الرجوع إلى أهل العلم عند الاشتباه

فمن رأى رؤيا ونسبها إلى النبي– صلى الله عليه وسلم –واشتبه عليه أمرها، فالواجب عرضها على أهل العلم الراسخين ليزنوها بميزان الشرع، لا الاستقلال بتأويلها وفق الهوى أو الرغبة، إذ إن أخطر ما في هذا الباب هو توظيف الرؤى في تسويغ أهواء أو بدع تُنسب زورا إلى صاحب الشريعة– صلى الله عليه وسلم –[٣٩].

وخلاصة هذا المبحث أن التأكد من صحة رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –عملية مركبة تجمع بين ميزان وصفي (مطابقة الصورة) وميزان شرعي (موافقة المضمون للكتاب والسنة) وميزان نفسي (وضوح الرؤيا وحال الرائي)، ولا يُكتفى بواحد منها دون الآخرين، وبذلك تنضبط هذه المسألة الدقيقة وتُصان من العبث والدعاوى الباطلة.

المناقشة

يتبين من العرض السابق أن مسألة حقيقة رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –في المنام تتقاطع فيها ثلاث قضايا: قضية ثبوت الحديث وصحته، وقضية مطابقة الرؤية لصورته المعروفة، وقضية حجيتها في الاستدلال الشرعي. أما القضية الأولى فمحل اتفاق بين أهل العلم، لثبوت الحديث في الصحيحين وتعدد طرقه عن جمع من الصحابة. وأما القضية الثانية فمحل خلاف علمي حقيقي بين أئمة كبار، كما تبين في المبحث الثالث: فالقاضي عياض يرى اشتراط المطابقة، بينما يرى المازري والنووي أن الرؤية حقيقية على كل حال، ويجمع ابن العربي بين القولين بالتفريق بين إدراك الحقيقة وإدراك المثال. ويرى الباحث أن مسلك ابن العربي التوفيقي هو الأولى بالاعتماد نظريا، لكن من الناحية العملية التطبيقية– وهي مقصد هذا البحث الأساس المتعلق بكيفية التأكد من صحة الرؤية –يبقى معيار مطابقة الوصف، الذي أرساه ابن سيرين –إمام المعبّرين– وتابعه عليه القرافي وابن عرفة، هو الأداة العملية الوحيدة المتاحة للتمييز بين دعوى صادقة وأخرى كاذبة أو متوهَّمة، إذ لا سبيل إلى التحقق من دعوى مخالفة للوصف الثابت إلا بالرجوع إلى هذا المعيار، وإن كان ذلك لا ينفي نظريا إمكان صدق رؤية خالفت الوصف عند من صحّ قصده كما قرر المازري والنووي. وأما القضية الثالثة فمحل اتفاق شبه تام بين العلماء المحققين على عدم حجيتها المستقلة في التشريع، وهذا الاتفاق هو صمام الأمان الذي يحول دون توظيف هذه الرؤى في إحداث بدع أو نسخ أحكام ثابتة.

نتائج البحث

- ثبت بالتواتر المعنوي عن جمع من الصحابة حديث (من رآني في المنام فقد رآني)، وهو حديث صحيح متفق على أصله.
- جمهور العلماء على أن هذا الفضل عام لكل مسلم رأى النبي– صلى الله عليه وسلم –إلى قيام الساعة.
- مسألة اشتراط مطابقة الرؤية لصفة النبي– صلى الله عليه وسلم –الثابتة محل خلاف معتبر بين القاضي عياض والمازري والنووي وابن العربي، وعمليا يبقى معيار المطابقة هو الوسيلة العملية للتحقق.
- لا تصلح رؤيا النبي– صلى الله عليه وسلم –مصدرا مستقلا للتشريع أو نسخ حكم ثابت.
- توجد فجوة بحثية حقيقية في غياب دراسات أكاديمية محكّمة مستقلة تجمع أطراف هذه المسألة، وهذا البحث محاولة لسدها.

الخاتمة

تبين من خلال هذا البحث أن رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –في المنام حقيقة ثابتة بالنص الصحيح، لا يجوز إنكارها أو التشكيك في أصلها، لكنها في الوقت نفسه ليست بابا مفتوحا لكل دعوى، بل لها ضوابطها الشرعية في المطابقة والاعتبار والاستدلال. وقد سعى الباحث إلى استيفاء هذه الضوابط من خلال جمع النصوص وأقوال العلماء وتحليلها والموازنة بينها، سائلا الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، نافعا لطالبه، وأن يرزقنا جميعا رؤية نبينا– صلى الله عليه وسلم –في الدنيا رؤيا صادقة، وفي الآخرة شفاعة ومرافقة في الفردوس الأعلى. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

1. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، ج 12(بيروت :دار المعرفة،1379 ه)،386-384 .
2. يحي بن شرف النووي، *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، ج15، ط 2(بيروت :دار إحياء التراث العربي،1392 ه)،26 .
3. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، *تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك*، ضمن *الحاوي للفتاوى*، ج 2(بيروت :دار الفكر،2004 م)،238-214 .
4. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، *فتاوى نور على الدرب*، الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز،binbaz.org.sa
5. مصطفى أحمد الزرقا، *فقه المسلم المعاصر*، مقال" :رؤيا النبي– صلى الله عليه وسلم –في المنام"،fiqh.islamonline.net
6. محمد بن مكرم بن منظور، *لسان العرب*، ط 3(بيروت :دار صادر،1414 ه)، مادة" رأي."
7. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، ج12،352
8. محمد بن عيسى الترمذي، *سنن الترمذي*، كتاب الرؤيا، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت :دار الغرب الإسلامي،1998 م).
9. محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب التعبير؛ ومسلم بن الحجاج القشيري، *صحيح مسلم*، كتاب الرؤيا (حديث متفق عليه).
10. يحي بن شرف النووي، *المنهاج*، ج15،14 .
11. محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب التعبير، باب من رأى النبي– صلى الله عليه وسلم –في المنام، رقم 6993 (بيروت :دار طوق النجاة،1422 ه)
12. محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، رقم6994 .
13. مسلم بن الحجاج القشيري، *صحيح مسلم*، كتاب الرؤيا، رقم2266 .
14. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، *تنوير الحلك*، ضمن *الحاوي للفتاوى*، ج2،216 ؛ محمد ناصر الدين الألباني، *سلسلة الأحاديث الصحيحة* (الرياض :مكتبة المعارف،1995 م)، رقم1993 .
15. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، ج12،384 .
16. يحي بن شرف النووي، *المنهاج*، ج15،26 .

17. سيكرز غايدنس(SeekersGuidance) ، مقال:" كيف أتأكد أني رأيت النبي- صلى الله عليه وسلم -في المنام؟"،ar.seekersguidance.org ؛ مصطفى أحمد الزرقا، *فقه المسلم المعاصر*.

18. محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب التعبير، تعليقا.

19. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، ج12،384 .

20. محمد بن علي الحكيم الترمذي، *نوادر الأصول في أحاديث الرسول*، ج 1(بيروت :دار الجيل)،386 ؛ نقلا عن ابن حجر، *فتح الباري*، ج12،384 .

21. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، ج12،384 .

22. أحمد بن إدريس القرافي، *الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)*، ج 4(بيروت :عالم الكتب)،244 .

23. محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، *تفسير ابن عرفة*، تحقيق حسن المناعي، ج 4(بيروت :مؤسسة الرسالة)،111 .

24. يحيى بن شرف النووي، *المنهاج*، ج15،25 ؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، ج12،385 .

25. يحيى بن شرف النووي، *المنهاج*، ج15،25

26. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، ج12،385 .

27. شمس الدين السفيري، *شرح صحيح البخاري*؛ نقلا عن ابن حجر، *فتح الباري*، ج12،385 .

28. أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، *المسالك في شرح موطأ مالك*، تحقيق محمد الشامسي، ج 7(بيروت :دار الغرب الإسلامي،2007 م)،503-502 .

29. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، ج12،386-384 .

30. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، *مجموع الفتاوى*، جمع عبد الرحمن بن قاسم، ج 10(المدينة المنورة :مجمع الملك فهد،1416 ه)،475-471 .

31. محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، *مدارج السالكين*، ج1، ط 3(بيروت :دار الكتاب العربي،1996 م)،53-51 .

32. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، *مجموع الفتاوى*، ج10،475-471 ؛ بدر الدين محمود بن أحمد العيني، *عمدة القاري شرح صحيح البخاري* (بيروت :دار إحياء التراث العربي).

33. مصطفى أحمد الزرقا، *فقه المسلم المعاصر*، موقع إسلام أونلاين.

34. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، ج12،385 ؛ موقع إسلام ويب، مركز الفتوى، مقال" :رؤية الرسول- صلى الله عليه وسلم -في المنام بين الحقيقة والخيال"،islamweb.net ، رقم2130764 ،2013 م.

35. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فتوى رقم" :6599 رؤية النبي- صلى الله عليه وسلم -في المنام"،binbaz.org.sa ؛ مصطفى أحمد الزرقا، *فقه المسلم المعاصر*

36. محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، *مدارج السالكين*، ج1،53-52 .

37. يحيى بن شرف النووي، *المنهاج*، ج15،14 .

38. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، *مجموع الفتاوى*، ج10،474 .

39. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، *مجموع الفتاوى*، ج10،475-474 .

قائمة المراجع

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق سامي بن محمد سلامة .ط2. الرياض: دار طيبة،1999 م.

القرافي، أحمد بن إدريس. *الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)* .ج4. بيروت: عالم الكتب.

البيهقي، أحمد بن الحسين. *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*. تحقيق عبد المعطي قلعجي. بيروت: دار الكتب العلمية،1988 م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. *مجموع الفتاوى*. جمع عبد الرحمن بن قاسم .ج10. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،1416 هـ.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي .*فتح الباري بشرح صحيح البخاري*. ج12. بيروت: دار المعرفة،1379 هـ.

القرطبي، أحمد بن عمر. *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*. ط1. دمشق: دار ابن كثير،1996 م.

الطحاوي، أحمد بن محمد. *شرح مشكل الآثار*. تحقيق شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة،1994 م.

إسلام ويب: مركز الفتوى. مقال:" رؤية النبي– صلى الله عليه وسلم –في المنامislamweb.net "، رقم المقال212086 .

إسلام ويب. استشارات. مقال:" رؤية الرسول– صلى الله عليه وسلم –في المنام بين الحقيقة والخيالislamweb.net "، رقم الاستشارة2130764 ،2013 م.

ابن العربي المعافري، أبو بكر محمد بن عبد الله. *المسالك في شرح موطأ مالك*. تحقيق محمد الشامسي. ج7. بيروت: دار الغرب الإسلامي،2007 م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. *إحياء علوم الدين*. بيروت: دار المعرفة

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد. *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. *تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك*. ضمن *الحاوي للفتاوى*، ج2. بيروت: دار الفكر،2004 م.

سيكرز غايدنس(SeekersGuidance) . مقال:" كيف أتأكد أني رأيت النبي– صلى الله عليه وسلم –في المنام؟.ar.seekersguidance.org "

السفيري، شمس الدين. *شرح صحيح البخاري*.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. *صيد الخاطر*. دمشق: دار القلم.

ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله. *فتاوى نور على الدرب*. الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز،binbaz.org.sa

ابن أبي جمرة، عبد الله بن سعد. *بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها*. بيروت: دار الكتاب العربي.

اليحصبي، عياض بن موسى) القاضي عياض. (*الشفا بتعريف حقوق المصطفى*. تحقيق علي محمد البجاوي. ط7. عمّان: دار الفيحاء،2000 م.

ابن حزم، علي بن أحمد. *المحلى بالآثار*. بيروت: دار الفكر.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. ج1، ط3. بيروت: دار الكتاب العربي،1996 م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. *الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الذهبي، محمد بن أحمد. *سير أعلام النبلاء*. تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. ط9. بيروت. مؤسسة الرسالة،1993 م.

البخاري، محمد بن إسماعيل. *صحيح البخاري*. كتاب التعبير. ط1. بيروت: دار طوق النجاة،1422 هـ.

مسلم بن الحجاج القشيري. *صحيح مسلم*. كتاب الرؤيا. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن عثيمين، محمد بن صالح. *مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين*. جمع فهد السليمان. الرياض: دار الوطن،1413 هـ.

السندي، محمد بن عبد الهادي. *حاشية السندي على صحيح البخاري*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الترمذي، محمد بن عيسى. *سنن الترمذي*. كتاب الرؤيا. تحقيق بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي،1998 م.

الحكيم الترمذي، محمد بن علي. *نوادر الأصول في أحاديث الرسول*. ج1. بيروت: دار الجيل.

ابن منظور، محمد بن مكرم. *لسان العرب*. ط3. بيروت: دار صادر،1414 هـ..

ابن عرفة الورغمي، محمد بن محمد. *تفسير ابن عرفة*. تحقيق حسن المناعي. ج4. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الألباني، محمد ناصر الدين: *سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها*. الرياض: مكتبة المعارف،1995 م.

الآلوسي، محمود شكري. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الزرقا، مصطفى أحمد .*فقه المسلم المعاصر*. مقال:" رؤيا النبي- صلى الله عليه وسلم -في المنام".fiqh.islamonline.net

النووي، يحيى بن شرف. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. ج15، ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي،1392 هـ.